

مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق



المقدمة

من كتاب المسائل والأجوبة

لابن السيد البطليوسي عبد الله بن محمد النحوي الأندلسي

المتوفى سنة ٥٢١ هـ

« مسألة رَبِّ »

عني بتحقيقها

الدكتور إبراهيم الساروني

دمشق

١٣٨٢ هـ = ١٩٦٣ م

مَطْبُوعَاتُ المَجْمَعِ العِلْمِيِّ العَرَبِيِّ بِدِمَشْقِ



المقدمة

من كتاب المسائل والأجوبة

لابن السيد البطليوسي عبد الله بن محمد النحوي الأندلسي

المتوفى سنة ٥٢١ هـ

« مسألة رَبِّ »

عني بتحقيقها

الدكتور ابراهيم السامرائي

دمشق

١٣٨٢ هـ = ١٩٦٣ م

ابن السيد البطليوسي عبد الله بن محمد الفخوري الأندلسي^(١) المتوفى سنة ٥٢١ هـ من علماء العربية المشهورين • سكن مدينة بلنسية من مدن الأندلس • وكان الناس يجمعون إليه ، ويقرءون عليه ، ويقتبسون منه • وكان ثقة من الثقات ، صاحب التصانيف العديدة •

تصانيف:

- (١) كتاب المثلث (وهو كتاب ضخمة أتى فيه بالعجيب وزاد على ما جاء به قطرب) •
 - (٢) الاقتضاب في شرح أدب الكتاب (طبع ببيروت سنة ١٩٠١ م) •
 - (٣) الانصاف في التنبيه على الأسباب التي أوجبت الاختلاف (وهو مطبوع في مصر سنة ١٣١٩ هـ) •
 - (٤) شرح سقط الزند لأبي العلاء المعري •
 - (٥) كتاب في الحروف الخمسة ، وهي السين والصاد والضاد والطاء والذال •
 - (٦) كتاب الحلال في شرح أبيات الجمل •
 - (٧) كتاب شرح الموطأ •
- وقال ابن خلكان : « وممعت أن له شرحاً لديوان المتنبي ولم أره » •
وذكر الزركلي في الأعلام أن له « كتاب الحلال في أغاليط الجمل » وأغلب

(١) انظر : بنية المتنس ص ٣٢٤ ، الصلة ٢٨٧ ، قلاند القيان ١٩٣ ، ابن خلكان ٢٨٢/٢ القاهرة ١٩٤٨ •

الظن أنه الكتاب الآنف الذكر ، كما ذكر أن له « كتاب الحدائق في أصول الدين » .

(٨) كتاب المسائل والأجوبة .

وهو الكتاب الذي نعتي بنشر مختارات منه من ضمنها « مسألة رب » هذه . والكتاب يشتمل على مسائل كان ابن السيد قد سئل عنها فكتب أجوبته وألف من مجموع الأجوبة كتاباً ضخماً يتناول ما ينيف على مئة مسألة .

ومادة الكتاب تتضمن مسائل في النحو واللغة والأدب والتفسير والأصول والخطوط من مخطوطات العلامة الجليل السيد حسن حسني الصمادحي من تونس الأعلام . وقد اطّلت على المخطوط وأفدت منه فوائد عدة ، واخترت منه مسائل اثبتتها في مجموع لنصوص لغوية معدة للنشر .

والمخطوطة بخط تونسي جيد حديثة الخط ، إذ أن تاريخ نسخها سنة ١٢٩٩ للهجرة وهي بخط محمد الطيب بن ابراهيم الرياحي التونسي . أما بروكلمان فهو يذكر في كتابه أن للكتاب نسختين خطيتين الأولى في ليدن والثانية في فاس ، ولم يشر إلى مخطوطتنا هذه .

المسألة الخمسون في « رُب » :

سأت أدام الله عزتك ، وحمى من النوائب حوزتك ، ومملكك نواصي الزعم ، وبلغك أفاصي المحمم ، عن قول النخويين : إن رُبَّ للثقليل ، وقلت : كيف يصح ما قالوه وكلام العرب المنظوم والمنثور يشهد بضد ما زعموه ، لأن القائل إذا قال : رب عالم لقيته ، ورب طعام طيب أكلته ، فانما غرضه أن يكثر من لقيه للعلماء ، وما أكله من الطعام الطيب وكذلك قول امرئ القيس :

ألا رب يوم صالح لك منها ولا صبا يوم بدارة جلجل^(١)
وقال الأعمش :

رب رقد هرقته ذلك اليوم وأمرى من معشر أفتال^(٢)

لا يلبق بها التقليل لأن بيت امرئ القيس بيت افتخار بكثرة الأيام الصالحة التي تنعم فيها بالنساء ، وان « يوم دارة جلجل » كان أجلها وأحسنها ، وبيت الأعمش بيت مدح ولم يمدح الذي مدحه بأنه أراق رفقاً واحداً . ومثل هذه الأبيات — أدام الله عزك — حمل القائلين على أن يقولوا : إن « رب » للتكثير ، مع أن سيبويه قال في باب « كم » ومعناها كمنى « رب » فتوهموا أن مذهبه أنها للتكثير .

وقد كان أشكل علي من أمرها قبل قوتي في هذه الصناعة مثل ما أشكل عليك ، وحسبت أن أبا القاسم الزجاجي وأبا جعفر بن النحاس ونحوهما من صفار النخوين غلطوا في ذلك ، فجعلت أبحث عما قاله فيها جلة النخوين فوجدت كبراء البصريين ومشاهيرهم مجمعين على أنها للتقليل وأنها ضد « كم » في التكثير كالخليل ، وسبويه ، وعيسى بن عمر ، وبونس ، وأبي زيد الأنصاري ، وأبي عمرو بن العلاء ، والأخفش سعيد بن مسعدة ، والمازني ، وأبي عمر الجرمي ، وأبي العباس المبرد ، وأبي بكر السراج ، وأبي اسحاق الزجاج ، وأبي علي الفارسي ، وأبي الحسن الرماني ، وابن جنبي ، والسيرافي ، وكذلك جلة الكوفيين

(١) رواية التبريزي في شرحه للملقات كالآتي :

ألا رب يوم لك منهن صالح ..

(٢) من قصيدته التي مطلعها :

ما بكاء الكبير بالاطلال وسؤالي وما ترد سؤالي

كالكسائي ، والفراء ، ومعاذ الهراء ، وابن سعدان ^(١) ، وهشام ^(٢) ، ولم أجد لهم مخالفاً في ذلك الا صاحب كتاب العين فانه صرح بأنها للتكثير ولم يذكر أنها جاءت للتقليل . وهذا من أظرف شيء لأن (رب) قد كثر استعمالها في مواضع لا يسوغ فيها التكثير سندكرها إذا اتهمنا إليها إن شاء الله تعالى .

ورأيت الفارابي قد ذكر في كتاب الحروف : أنها تكون تكثيراً وتقليلاً . ورأيت قوماً من نحويين زماننا هذا ومن قرب زمانه من زمانهم يعتقدون أنها للتكثير مثل « كم » وكأنهم يعتقدون أن النحويين المتقدمين غلطوا فيها ورأيتهم يتكفون بالمواضع التي ظاهرها التكثير ويفعلون المواضع التي لا تحتل الا التقليل . ورأيت قوماً منهم يحتجون بقول - يوبه في « كم » أن معناها كعني « رب » وقد بتعين على المصنف إذا رأى رأياً يخالف ما رآه المبرزون في صناعة من الصنائع أن يتهم رأيه ولا يتسرع في تحطيمه وانما ينبغي أن يلتبس حقيقة ما قالوه ، فلستناشك في أن الخليل وجميع من سميانه من البصريين والكوفيين قد رأوا الأبيات التي ظاهرها التكثير كما رآها هؤلاء المعترضون عليهم لأنها كثيرة جداً ، وليس مجيئها للتكثير شاذاً قليلاً فيتوهم أنه غاب عنهم لقلته ، بل تكاد المواضع التي ظاهرها الكثرة تكون موازية للمواضع التي تقع فيها القلة . فهذا اتفاق جميع ما ذكرناه على أن أصل « رب » للتقليل و « كم »

(١) هو أبو جعفر محمد بن سعدان الضرير النوفى سنة ٢٣١ هـ . انظر ترجمته في السيوطي بنية الرواة ٤٥ ، طبقات النحويين للزبيدي ١٥٣ ، نزهة الألباء لابن الأنباري ص ١٠٧ ، ارشاد الأرب لياقوت ٢٠١/١٨ .

(٢) هو هشام بن معاوية الضرير النحوي الكوفي النوفى سنة ٢٠٩ هـ . انظر ترجمته في أبناء الرواة ٣/٣٦٤ ، نزهة الألباء ١١٣ ، بنية الرواة ٤٠٩ ، ابن خلكان ١٩٦/٢ طبقات النحويين للزبيدي ١٤٧ نكت الهيمان ٣٠٥ .

للتكثير دليل على أن لهم في ذلك غرضاً بنبغي أن يعلم وبوقف عليه ، وكذلك قال سيبويه : إن « كم » معناها كعنى « رب » لا دليل فيه على أنها للتكثير من ثلاثة أوجه :

أحدها : أن سيبويه لم ينازع غيره في قولهم : أن « رب » للتقاييل و « كم » للتكثير . والثاني : أن سيبويه إذا تكلم في الشواذ في كتابه فمن عادته في كثير منها [قوله] « ورب شيء هكذا » يريد أنه قليل نادر كقوله في باب « ما وقد » في بيت الفرزدق :

فاصبحوا قد أعاد الله نعمتهم إذ هم قريش واذ ما مثلهم بشر^(١)
وهذا لا يكاد يعرف . كما « لات حين مناص » و « رب شيء » هكذا ، وهو كقول بعضهم « هذه ملحقة جديدة في القلة ، فكيف يتوهم عليه أنه أراد بقوله : أن معنى « كم » كعنى « رب » أنها مثلها في الكثرة وهو يستعملها في كلامه ، وما يستعمله بتكلم عليه في مسائل كتابه بصد ذلك .

والوجه الثالث أن كل من شرح كتاب سيبويه لم يقل أحد منهم أن سيبويه أراد بهذا الكلام أن « رب » للتكثير . وقد فسر أبو علي الفارسي هذا الموضع فقال : إنما قال : أن معنى « كم » كعنى « رب » لأنها تشارك « رب » في أنها بقران صدرأ ، وأنها لا بدخلان إلا على النكرة ، وإن الاسم المذكور الواقع بهما بدل على أكثر من واحد ، وإن كان الاسم الواقع بعد « كم » بدل على كثير ، والاسم بعد « رب » بدل على قليل فيختلفان في هذا الوجه ، ويختلفان أيضاً في أن « كم » اسم ، و « رب » حرف ، وكذلك قال ابن درستويه والزماني وغيرهما في شرح هذا الموضع من كلام

(١) من قصيدة يدح فيها عمر بن عبد العزيز مطلعها :
زارت سكبنة اطلاقاً أناخ بهم شفاة النوم للعنين والسهر

سيبويه ، وان كانت المواضع التي ظاهرها التوكثير عنده أولاً توجب أنها للتكثير ، فقد يجب أن تكون المواضع التي ظاهرها التقليل توجب أن تكون للتقليل . ولا أقل من أن يتعادل الأمران عندهم فيقول : إنها تكون تقليلاً وتكثيراً كما قال أبو نصر الفارابي . وأنا أوصل في (رب) أصلاً بذبغي تفرع مسائلها عليه ، ويصرح بما أشاره أهل هذه الصناعة المتقدمون إليه إن شاء الله تعالى .

« باب الكلام على (رَبِّ) وحقيقة وضعها »

إعلم أن « رب » و « كم » بنيا على التناقض في أصل وضعهما . لا أن أصل « رب » للتقليل ، وأصل وضع « كم » للتكثير . هذه حقيقة وضعهما ثم يعرض فيهما الجواز للمبالغة وغيرها من الأغراض فيقع كل واحد منهما موقع صاحبتها ، وهذا سبيل الجواز لأنه عارض يعرض للشيء فيستعار في غير موضعه ، ولا يبطل ذلك حقيقته التي وضع عليها ، ومثال ذلك المدح والذم وأنها وضما على التناقض في أصل وضعهما ، ثم يعرض لها الجواز فيستعمل الذم مكان المدح كقول القائل « أخزاه الله ما أشمره ، ولعنه الله ما أفصحه » ويستعمل المدح مكان الذم فيقال للأحمق : « يا عاقل » وللجاهل « يا عالم » وللخبيل « يا جواد » وذلك على سبيل الهزء . قال الله تعالى حكاية عن قول شعيب أنهم قالوا له : « إنك لأنت الحليم الرشيد »^(١) ، وقال لفرعون « ذق انك أنت العزيز الكريم »^(٢) ومثله قول الشاعر :

وقلت لسيدنا يا حكيم
انك لم تأس سوءاً رقيقاً

(١) سورة هود ، الآية ٨٧ .

(٢) سورة البخان ، الآية ٤٩ .

وقال بعض شعراء اليمن يخاطب جريراً :
أبلغ كليياً وأبلغ عنك شاعرها
اني الأعز واني زهرة اليمن
فأجابه جرير فقال :

ألم يكن في وسوم قد سمعت به من حان موعظة يا زهرة اليمن^(١)
فسماء « زهرة اليمن » حكاية لقوله ، وهزأ به ، وكذلك التذكير
والتأنيث تقيضان في أصل وضعها ثم بلحقها الجواز فيقع كل واحد منها موقع
صاحبه مع حفظه لأصله الذي وضع عليه ، فيقولون الرجل : علامة ونسابة ،
ويرون أنه أبلغ من قولهم : علام ونسأب ويقولون : امرأة طاهر وعافر وحاسر ،
ويرون ذلك أبلغ من التأنيث لو جاءوا به ههنا . ووجه المبالغة عندهم في هذا
أن التقيضين إنما بينهما حد يفصل بينهما من بعض ، فإذا زاد أحدهما في حده
انعكس إلى ضده ، لأنه لا مذهب له يذهب إليه إذ لا واسطة بينهما ولذلك
قال الشاعر :

... .. وشر الشدائد ما يضحك

وقال أبو الطيب المتنبى :

ولجدت^(٢) حتى كدت نبجل حائلاً للمتتهى ومن السرور بكاء^(٣)

(١) ورد البيت في الديوان على الوجه الآتي :

ألم يكن في وسوم قد سمعت بها من حان موعظة يا حارث اليمن
وكان جرير قد هجا زهرة القناني ص ٥٦٦ في قصيدة مطلعها :

عرفت منازل بلوى الثاني وقد دكرن عهدك بالفواني

(٢) هكذا في الديوان ، أما في المخطوطة : ومجدت .

(٣) من قصيدة مطلعها :

أمن ازديارك في الدجى الرقباء إذ حيث أنت من الظلام ضياء

وقال أبو العلاء المعري :

[فلا تحسبوا دمي لوجد وجدته] فقد تدمع العينان من شدة الضحك^(١)

وعلى الثاني هذا السبيل من المجاز يضعون النبي موضع الايجاب ، والايجاب موضع النبي ، ويخرجون الواجب بصورة الممكن ، والممكن بصورة الواجب وغير ذلك من المجازات التي تكثر إن ذكرناها وتخرجنا عن الغرض الذي نحن بصدده ، وقاصدون نحو مقصده . فكما أن وقوع بعض هذه الأشياء موضع بهض لا يبطل أصل وضعها ، فكذلك موقع « رب » موقع « كم » و « كم » موقع « رب » لا يبطل أصل وضعها على ما نذكر إن شاء الله تعالى .

« باب ذكر المواضع التي تقع فيها « رب »

للتقليل والتخصيص على حقيقة وضعها »

فمن ذلك قول العرب إذا مدحوا الرجل « ربه رجلاً » وهو شبيهه بقولهم : لله دره رجلاً . وهذه مسألة قد اتفق عليها البصريون والكوفيون قاطبة ونص عليها سيبويه في كتابه . وهذا تقليل محض لا يتوهم فيه كثرة . لأن الرجل لا يمدح بكثرة النظراء والأشياء ، وإنما يمدح بقلة النظرير أو عدمه بالجملة . وكذلك في التعجب : أنه ما خفي سببه وخرج عن نظائره ، وإنما يريدون بقولهم : « ربه رجلاً » أنه قليل غريب في الرجال ، فكأنهم قالوا : ما أقله في الرجال

(١) رواية الديوان :

فقد تدمع الأحداق من كثرة الضحك

فلا تحسبوا دمي لوجد وجدته

ومطلع القصيدة :

على نوب الأيام والعيشة الضنك

وصفراء لون التبر مثلي جليلة

وما أشده فيهم . وبدل على ذلك تصریحهم في المدح بلفظ القلة في نحو قولهم :
« قل من يقول هذا ، وقل من يعلم ذلك الا زبد ونحو ذلك » .

وقال أبو زبد الأنصاري : بيد بمعنى غير ، وربما كانت بمعنى من أجل .
قال أبو عبيدة : الأسد توصف بالفدع ^(١) وهو أن تقبل الرجل الواحدة
على الأخرى وربما كان الفدع أن ينقلب الرصغ إلى الجانب الوحشي . أراد
أن هذا قليل والأول هو الأكثر .

وقال أبو العباس المبرد في « الكامل » : « وكانت الخنساء وليلى مباينتين
في أشعارهما لأكثر الفحول وربما امرأة تتقدم في صناعة وقلما يكون
ذلك » ^(٢) . والجملة ما قال الله عز وجل : « أو من ينشأ في الحلية وهو في
الخصام غير مبين » ^(٣) . وما جاءت فيه « رب » بمعنى القلة قول العرب : وربما
خان الأمير وربما صفه الحلیم . أي أن هذا قد يكون ، وان كان الأكثر
غيره كما قال قيس بن زهير : ^(٤)

أظن الحلم دل علي قومي وقد يستجهل الرجل الحلیم ^(٥)

(١) لم تشر كتب اللغة إلى قول أبي عبيدة في الفدع ، فليس هو مختصاً بالأسد
بل مطلق عام .

(٢) ورد الخبر في الكامل للمبرد (تحقيق زكي مبارك) ١٢١٣/٢ على الوجه الآتي :
« وكانت الخنساء وليلى بائنتين في أشعارهما ، متقدمتين لأكثر الفحول ، ورب
امرأة تتقدم في صناعة ، وقلما يكون ذلك » .

(٣) سورة الزخرف الآية : ١٨ .

(٤) هو قيس بن زهير بن جذيمة بن رواحة العبسي ، أمير عبس ودايتها وأحد
السادة الفادة في عرب العراق توفي سنة ١٠ هـ انظر الميداني ١٨٤/١ ، ابن أبي الحديد
١٥٠/٤ خزانة الأدب ٥٣٦/٣ سمط اللآلئ ٥٨٢ .

(٥) انظر شرح الحماسة للتبريزي ٣٩٧/١ والبيت من قصيدة مطلعها :
تعلم أن خير الناس ميت على جفر الهبابة لا يريم

وقال سالم بن وابصة : (١)

لا تنتر بصدیق أنت تمحصه وخفه خوفك من ذي الغدر والملق
إن الزلال وان انجماك من غصص دأباً فربما أرداك بالشرق
وقال أعشى باهلة : (٢)

لا يبطرن ذا مقة أحبابه فرجبا أردى الفنى لعابه
وقال حاتم الطائي (٣) :

اني لأعطي سائلي ولربما أكلف ما لا يستطاع فأكلف
وقال زهير :

وأبيض فياض يدهاء غمامة على معتفيه ما تغب فواضله (٤)
وهذا خصوص لا وجه فيه للكثير ، لأنه إنما أراد بالأبيض حصن ابن
حذيفة بن بدر الفزاري ، ولم يرد جماعة كثيرة هذه صفتهم . ألا تراه
يقول بعده :

حذيفة يغميه وبدر كلاهما إلى باذخ يعلو على من يطارله

وقال سخوات (٥) بن جبير الأنصاري صاحب ذات النخيين (٦) :

(١) هو سالم بن وابصة بن معبد الأسدي ، أمير شاعر ، من أهل الحديث ، دمشق

سكن الكوفة ، انظر سمط اللآلي ص ٨٤٤ .

(٢) هو أعشى باهلة عاصر بن الحارث بن رباح الباهلي من ممدان يكنى أبا قحطان .

انظر خزنة الأدب ٩٠/١ سمط اللآلي ٧٥ .

(٣) هو حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج الطائي ، أبو عدي فارس جواد .

انظر الدر والشعراء خزنة الأدب ٤٩٤/١ الشريف ٣٣٢/٢ .

(٤) قال زهير بن أبي سلمى من قصيدة مطلعها :

صحا القلب عن سلمى وأقصر باطله وعمرتي أفراس الصبا ورواحله

(٥) هذا هو الصحيح بتشديد الواو ، أما في المخطوطة : خرات .

(٦) ذات النخيين : قصة لأمرأة من نيم الله بن ثعلبة ومثلها مشهور . انظر

اللسان مادة « نخا » .

وذات عيال واثقين بمقلها خلجت لها جاراستها خلجات
وانما أراد بقوله : ذات عيال ذات النخيين وحدها ، ولم يرد أنه فعل هذه
القصة مراراً كثيرة . وكذلك قوله ^(١) في هذه القضية :

وأهل خباء صالح ذات بينهم قد احتربوا في عاجل أنا آجله
وانما أراد هاج بين حيه وحيها من الحرب فسبب هذه الضمة ولم يرد أهل
أخبية كثيرة . وقال صخر بن عمرو بن الشريد أخو الخنساء ^(٢) :

وذوي أخوه قطعت أقران بينهم كما تركوني واحداً لا أخاليا ^(٣)
وانما أراد بذوي ههنا زيد بن حرملة الحربي ، وهو الذي قتل أخاه معاوية
فلما قتله بأخيه أنشد هذا الشعر . وقوله : « كما تركوني واحداً لا أخاليا »
يبطل معنى الكثرة ههنا ، لأن الذين تركوه بلا أخ انما كانوا بني حرملة
ولم يكن له أخ قتل غير معاوية . وقال بعض شعراء غسان يصف وقعة كانت
بينهم وبين مذحج في موضع يعرف بالبقلاء :

وقوم على البقلاء لم يك مثله على الأرض قوم في بعيد ولا دان
وأنشد سيبويه وغيره من النخوبين :

ويوم شهدناه سليم وعاصر قليل سوى الطعن النهمال نوافله ^(٤)
وقال ابن مخلاة الحمار في يوم مرج راهط :

ويوم ترى الرايات فيه كأنها حوائم طير مستدير وواقع

(١) المقصود هو زهير بن أبي سلمى .
(٢) هو صخر بن عمرو بن الحارث بن الشريد الرياحي السلمي سنة ١٠ للهجرة وهو
أخو الخنساء ، من الفرسان والغزاة . انظر النويري ، عيون الأخبار ١٦/٣٦٦ ،
المبرد الكامل ٢/٢٦٦ ، التبريزي ، شرح الحماسة ٣/١١٠ .
(٣) هكذا في المراجع ، أما في المخطوطة : « وذوي أخوة قطعت أعراق بينهم »
(٤) انظر سيبويه (الكتاب) ١/٩٠ ونسبة البيت إلى رجل من بني عاصر .

فهؤلاء إنما وصفوا أياماً مخصوصة بأعيانها يرى ذلك أيضاً إذا نظر في أخبار هذه الأشعار التي قيلت فيها ، وما أنشده النخوبون من قوله ^(١) :

ونار قد حضأت بعيد وهن ^(٢) بدار ما أريد بها مقاما

وهذا شعر مشهور ، ولا معنى فيه للكثرة لأنه إنما وصف قصة جرت له مع الجن مرة واحدة . ونحن نذكر آياتنا كثيرة من أشعار المحدثين في جميعها أن « رب » للتقليل أكثر استعمالها فلم ينكر أحد من العلماء عليهم فصارت لذلك كأنها حجة فمن ذلك قول أبي تمام الطائي :

عسى وطن يدنو بهم ولعلما وان تعتب الأيام فيهم فرجما ^(٣)

يريد ربما اعتبت في بعض الأحيان ، وقال أبو الطيب المتفني :

ربما تحسن الصنيع لباله — ولكن تكدر الأحسانا ^(٤)

وقال :

ولربما أطر القناة بفارس وثنى فقومها بآخر منهم ^(٥)

وقال :

ويوم كليل العاشقين كنته أراقب فيه الشمس أيان تغرب ^(٦)

(١) البيت لتأبط شرا انظر « اللسان » مادة « حضأ » .

(٢) هكذا في المخطوطة أما في اللسان : هذه .

(٣) مطلع قصيدة يمدح بها محمد بن يوسف الثغري .

(٤) من قصيدة مطلعها :

صحب الناس قلنا ذا الزمانا وعناهم من شأنه ما عنانا

(٥) من قصيدة مطلعها :

لهوى النفوس سريرة لا تعلم عرضاً نظرت وخت أني أسلم

(٦) من قصيدة مطلعها :

أغالب نيك الشوق والشوق أغلب وأعجب من ذا الهجر والوصل أعجب

وقال يهجو كافوراً :

وأسود أما القاب منه فضيق نحيفاً وأما بطنه فرحيب ^(١)

وقال بمدحه :

وأبلج بغضي باختصاصي مشيره عصيت بقصديه مشيري ولومي ^(٢)

وانما عنى بالأبلج كافوراً وبمشيره ابن حنزابه وزيره وكذلك قوله لسيف الدولة :

علينا لك الإسعاد إن كان نافعاً بشق قلوب لا بشق جيوب

ورب كئيب ليس تندى جفونه ورب كثير الدمع غير كئيب ^(٣)

وقد أوضح ما أراده من التقليل ههنا في موضع آخر فأخرجه بغير لفظ

« رب » وهو :

وفي الأحباب مختص بوجد وآخر يدعى معه اشتراكاً ^(٤)

ومن أعمار المحدثين قوله :

الحر طلق ضاحك وربما تلقاه وهو العابس المنجم

وقال آخر :

احذر عدوك مرة واحذر صديقك ألف مرة

فلربما انقلب الصديق فكان أعلم بالمضرة

(١) لا توجد هذه القصيدة في الديوان (شرح المكبري) .

(٢) هكذا البيت في الديوان ، أما في المخطوطة : « وأبلج بغضي باختصاصي مشيره »

وهو من قصيدة مطلعها :

فراق ومن فارقت غير مذمم وأمّ ومن يممت خير ميمم

(٣) هكذا البيت في الديوان ، أما في المخطوطة :

ورب لبيب ليس تندى جفونه ورب كثير الدمع غير لبيب

(٤) من قصيدة يمدح بها أبا شجاع عضد الدولة ويودعه مطلعها :

فدى لك من يقصر عن مداكا فلا ملك إذنت الا فداكا

وقال عدي بن زيد^(١) وقد أغفلنا ذكره في الشعراء المتقدمين :

يا لبيبي أوقدي النارا ان من تهدين قد جارا^(٢)

رب نار بت أرمقها تقضم الهندي والغارا

عندها ظبي يؤرثها عاقد في الجيد تقصارا

فبين في الشعر أنه أراد ناراً تبين وحدها وقد أوضح ذلك المعري بقوله :

ليست كنار عدي نار عادية باتت تُشَبَّ على أيدي مصالينا^(٣)

وما لبيبي وان عزت بربتها لكن غذتها رجال الهند تربيتا^(٤)

ومما تأتي فيه رب للتقليل والتخصيص اتياناً مطرداً ويرى ذلك من تأمل

الأشعار التي في الألفاظ والأشعار التي يصف فيها الشعراء أشياء مخصوصة

بأعيانها ، فانهم كثيراً ما يستعملون « رب » في أوائلها مصرحاً بها أو الواد

التي تنوب مناب « رب » كقول ذي الرمة :

وجارية ليست من الانس تشتمى ولا الجن قد لاعتبتها ومعي ذهني

فأدخلت فيها قيد شبر موثر فصاحت ولا والله ما وجدت تزني^(٥)

فلما دنت لمهراقة الماء أنصت لاعزله عنها وفي النفس أن أنفي

(١) هو عدي بن زيد بن حماد بن زيد العبدي المتوفى سنة ٣٥ ق . ه . شاعر

جاهلي من أهل الحيرة . أنظر خزنة الأدب للبغدادي ١٨٤/١ ، الأغاني (دار

الكتب) ٩٧/٢ ، السيوطي شرح الشواهد ص ١٦١ ، الشعر والشعراء ص

٦٣ ، المرزباني ص ٢٤٩ .

(٢) رويت الأبيات في الأغاني ١٤٧/٢ .

(٣) من قصيدة يخاطب بها أبا القاسم علي بن أبي القهم القاضي التنوخي ، مطلعها :

هات الحديث عن الزوراء أوهيتا وموقد النار لا تكري بتكريتا

(٤) هكذا البيت في الديوان (طبعة صادر) أما في المخطوطة .

وما تبين وان عزت بربتها لكن عزتها رجال الهند تربيتا

(٥) هكذا البيت في الديوان ، أما في المخطوطة :

فأدخلت فيها قيد شبر موثر فصاحت ولا والله ما وجدت تزني

وانما وصف بكرة لبستي عليها ماء . وكذلك قول الآخر :
رب نهر رأيت في جوف خرج يترامى بوجه الزخار
ونهار رأيت منتصف الليل — ليل رأيت نصف نهار
وثلاثين ألف شيخ قعوداً فوق غصن ما ينثني لانكسار
يعني بأخرج الوادي الذي لا منفذ له ، وبالنهار فرخ الحباري ، وبالليل
فرخ الكروان ، وبالشيوخ الرذاذ الصغير من المطر .

وقال الأغب العجلي ^(١) ووصف نعلباً أرسل عليه كتاباً فمقره :

ونعلب بات قرير العين لاقى مع الصبح غراب البين
وقد عدا مجتمع الشخصين فاستقبته بحضور الحين
طلعة كلب أغضف الأذنين فر يهوي ثابت الساقين
إلى وجار بين صخرتين والكب منه راكب المتنين
فلم يرغه غير روغتين حتى رأيت شلوه نصفين
وقال يصف صقراً :

يا رب صقر بفرس الصقورا وبكسر العقبان والنسورا
فرّ الأوز منه مستجيحاً

وقال ابن الرومي :

ورازقي مخطف الحضور كأنه مخازن البلور ^(٢)

(١) هو الأغب بن عمرو بن عبيدة بن حارثة من بني عجل . شاعر راجز معمر أدرك
الجاهلية والإسلام ، استشهد في واقعة نهاوند انظر خزانة الأدب للبغدادى ١/٣٣٣
والمؤتلف والمختلف ص ٢٢ سمط اللآلىء ٨٠١ .

(٢) من أرجوزة يصف فيها العنب الرازقي . انظر الديوان .

وقال أبو الطيب وقد أمره أبو العشائر أن يصف بطيخة مر عليها عقد :
وسوداء منظوم عليها لآلئ لها صورة البطيخ وهي من الند
وكذلك قوله في نزهة أمره أبو علي الأوراجي أن يصفها (١) .
ومنزل ليس لنا بمنزل ولا لغير الغاديات العطل

وكذلك قوله في صفة صيد شاهده مع ابن طفج (٢) :

وشامخ من الجبال أمرد جرد كيا فوخ البعير الأصيد (٣)
وانما أراد منزلاً معيناً وجبلاً معيناً ، وبدل على ذلك قوله :

[في مثل متن المسد المقعد] زرناء للأمر الذي لم نعهد

وكذلك قوله في اللعبة التي امتجته فيها ابن طفج (٤) :

وذات غدائر لا عيب فيها سوى أن ليس تصلح للعناق

قال الأستاذ - أعزّه الله - فهذه المواضع كلها « رب » فيها للتقليل ،
وهي كثيرة جداً وانما تخيرت منها أوضاعها . وهذه حقيقة « رب » وموضوعها
والله أعلم .

(١) في الديوان : قالها ارتجالاً يصف كلباً أرسله أبو علي الأوراجي على ظبي .
(٢) في الديوان : واجتاز أبو محمد ببعض الجبال فأثارت الفلجان خشقاً فالتفتت السكلاب
فقال أبو الطيب مرتمجلاً .

(٣) هكذا في المخطوطة ، أما رواية الديوان :

وشامخ من الجبال اقود فرد كيا فوخ البعير الأصيد

(٤) جاء في الديوان : وقال في وصف لعبة عند بدر بن عمار .

« باب ذكر المواضع التي وقعت فيها (رب) »
بمعنى التكثير على طريق المجاز»

إنما تأتي «رب» بمعنى التكثير في معظم أحوالها في المواضع التي يذهب فيها إلى الافتخار والمباهاة كقول القائل : «رب عالم لقيت ، ورب يوم مرور شهدت» لأن الافتخار لا يكون إلا بما أكثر من الأمور في الغالب من أحواله وقد يكون لقاء الرجل الواحد أذهب في الفخر من لقاء الجماعة ، ولكن الأول هو الأكثر فمن ذلك قول امرئ القيس :

ألا رب يوم صالح لك منها ولا سيما يوم بدارة جلجل^(١)
وقوله :

فان أمس مكروبا فيارب 'بهمة كشفت إذا ما اسود وجه جبان
وان أمس مكروبا فيارب قنية منعمة أعملتها بكران^(٢)
وقوله :

وخرق بعيد قد قطعت نياطه على ذات لوث سهوة المشي مذعان

(١) هكذا في المخطوطة ، أما رواية الديوان وشرح العلقات للتبريزي .

الارب يوم لك منهن صالح

(٢) هكذا في الديوان ، أما المخطوطة : وان أمس مكروبا فيارب منية
ومطلع القصيدة :

لمن طلل أبصرته فشجان كخط زبور في عيب يـاني

ومجر كغلاب الانعيم بالغ ديار العدو ذي زهاء وأركان^(١)
فهذه مواضع لا يليق بها إلا التذكير . وكذلك قول أبي كبير الهذلي^(٢) :
أزهبر إن يشب الغدال فانه رُبْ هيزل لب لفتت هيزل^(٣)
وكذلك قول أبي عطاء السندي يرثي عمر بن هبيرة الفزاري^(٤) :

فان تمس مهجور الفناء فرمبا أقام به بعد الوفود وفود
وهذا النوع من الشعر كثير جداً . والفرق بين هذا الباب والباب الأول ،
أن الأول حقيقة « رب » وهذا الباب مجاز يعرض لها كما يعرض للمدح أن يخرج
مخرج الدم ، ولذم أن يخرج مخرج المدح ، وللتذكير أن يخرج مخرج التأنيث
وللتأنيث أن يخرج مخرج التذكير كما ذكرنا في الباب الأول ، ومن الفرق
بينها أن « كم » يصلح استعمالها في هذا الباب مكان « رب » ولا يصلح ذلك
في الباب الأول . ولذلك نجد المعنى الواحد في هذا الباب يأتي بلفظ التأنيث

(١) هكذا في الديوان ، أما رواية المخطوطة :

وخـرق بيمد قد قطعت نياطه على ذات لوث سمرة المشي مذعان

وتجـر كغلاب الانعيم بالغ ديار العدو ذي زهاء وأركان

ومطلع القصيدة :

فما نك من ذكرى حبيب وعرفان ورسم عفت آياته منذ أزمان

(٢) هو أبو كبير الهذلي عاصر بن الحليس من شعراء الحماسة . أنظر التبريزي ٤١/١

خزانة الأدب ٤٧٣/٣ ، الشعر والشعراء ٢٥٧ ، سمط اللآلئ ٣٨٧ .

(٣) هكذا في « اللسان » أما في المخطوطة : « رب هيزل لب لفتت هيزل » .

(٤) هو أفلح بن يسار السندي أبو عطاء ، شاعر فحل ، من مخضرمي الدوليين

أنظر فوات الوفيات ٢٧٣/١ التبريزي ٣٠/١ خزانة ١٧٠/٤ ذكر ابن قتيبة :

قبل اسمه سرزوق .

مرة وبلغت التكثير مرة كقول رجل من بني نفعس أشد أبو تمام في المحاسة :
وذوي طباب مظهرين عداوة الأفتاد (١)
ناسبهم بغضاهم وتركهم ولقد يجاء إلى ذوي الأحقاد
وقال ربيعة بن مفرغ (٢) في نحو من هذا الشعر أشده أبو تمام :
وكم من حامل لي ضب طعن بعيد قلبه حلو اللسان
ولكني وصلت الحبل منه مواصلة يجبل أبي ييان
فترض الشاعر في هذا الشعر واحد . وقد أخرج أحدهما بلفظ التقليل ،
وأخرج الآخر بلفظ التكثير فدل ذلك على أن « كم » و « رب » يتعاقبان
على الشيء الواحد في هذا الباب . وربما جمعها الشاعر في شعر واحد كقول
عمارة بن عقيل (٣) :

فان تكن الأيام شيبين مفرقي وأكثرن أشجاني وبلغن من غرب
فيارب يوم قد شربت بمشرب شفيت به غيم الصدى بارد عذب
وكم ليلة قد بثها غير آثم بشاجبة الحجلين مفعمة القاب
ألا تراه قد أورد تكثير أيامه ولياليه فأخرج بعض ذلك بلفظ « رب »
وبعضه بلفظ « كم » ورأى الأصرين سواء ، فان قال قائل : إذا كانت « رب »
في أصل وصفها وحقيقتها للتقليل نقيضة « كم » فما الوجه في استعمالها إياها في
مواضع التكثير التي لا تليق إلا بكم ؟

(١) لم ترد الآيات في حاسة أبي تمام إلى أي من الفقهيين .
(٢) الصحيح هو : يزيد بن زياد بن ربيعة بن مفرغ . أنظر الخزانة ٢١٢/٢ ،
إرشاد الأريب ٢٩٧/٧ ، الشعر والشعراء ٢١٩ .
(٣) هو عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير المتوفى سنة ٢٣٩ هـ . أنظر تاريخ
بنداد ٢٨٢/١٢ .

فالجواب أن ذلك لأغراض يقصدونها: [فمنها أن المفتخر يزعم أن الشيء الذي يكثر وجوده من غيره وذلك أبلغ في الامتداح والفخر من أن يكثر من غيره ككثرته منه فاستعيرت لفظة التقليل في موضع التكثير إشعاراً بهذا المعنى كما استعيرت ألفاظ الذم في موضوع المدح] ^(١): أخزاه الله ما أشعره ، وانه الله ما أنصحه ، إشعاراً بأن الممدوح قد حصل في مرتبة من يشتم حسداً له على فضله ، لأن الفاضل هو الذي يحسد ويوقع في الناقص لا يلتفت إليه وقد خرج الشاعر بهذا في قوله :

ولا خلوت الدهر من حاسد وإنما الفاضل من يحسد
ولذلك قال بعض العرب : السيد من إذا أقبل هممنا وإذا أدبر عينا .
وكذلك استعار ألفاظ المدح في موضع الذم فيكون ذلك أشد على المذموم بلفظ
الذم بعينه ، لأن في ذلك مع الذم نوعاً من الهزء كقولهم للأحمق : يا عاقل
وللجاهل : يا عالم . وقد ذكرنا ذلك فيما تقدم ، فكذلك إذا استعيرت لفظة
التقليل مكان التكثير كان أبلغ من لفظ التكثير المحض ، ولو وقع هنا .
وكذلك يستعيرون « كم » في موضع التقليل على وجه الهزء فيقولون : كم بطل
قتل زيد ، وكم ضيف قري ، وهو لم يقتل بطلاً قط ولم يقر ضيقاً فيكون
أبلغ من قولهم : هو جبان وهو جواد . وبدل على أن هذا غرضهم في ذكر
« رب » في هذا الموضع أنهم قد خرجوا به في موضع كثيرة من أشعارهم
كقول سالم بن وابصة :

وموقف مثل حد السيف قتت به أحمي الذمار وترميني به الحدق
فما زلفت ولا أبدبت فاحشة إذا الرجال على أمثالها زلقوا ^(٢)

(١) كذا في الأصل . (المجلة)

(٢) هكذا في التبريزي ٢٣٦/٢ ، أما في المخطوطة :

فا زلفت ولا أبدبت فاحشة

ألا تراه يفتخر بأن هذا الموقف يكثر منه مع قلة وجوده من غيره .
ومثله قول الآخر :

يارب ليلة هول قد مرت بها إذا تضجع عنها العاجز الوكل^١
وكذلك قول العجاج^(١) :

ومهمه هالك من تعرجا هائلة أهواله من أدرجا
إذا رداء ليلة قد جدجا علوت أحشاه إذا ما أحنجا^(٢)

ونظير هذا في أن له نسبتين مختلفتين : نسبه كثيرة الى المفتخر ونسبة قلة الى من يعجز عنه فيأتي تارة على نسبة القلة بلفظ «رب» انهم إذا سموا رجلاً بالحوارث والعباس والحسن ونحو ذلك من الصفات فرجما أقروا فيها الألف واللام مراعاة لمذهب الصفة التي انتقلت عنها ، وربما حذفوا الألف واللام مراعاة لمذهب العلم الذي صارت إليه ، فتكون نسبتان مختلفتان تأتي إحداهما تارة والأخرى تارة ، ونظير اجتماع القلة والكثرة في هذا الباب بفرض من الأغراض اجتماع الشك واليقين في قولهم : قد علمتُ أزيد عندك أم عمرو ، وهذا كلام ظريف على ظاهره ، لأن الذي يدعي العلم لا يستفهم ، والذي يستفهم لا يدعي العلم ، وإنما تأويله قد علمت ما يستفهم غيره عنه . فهذا وجه من وجوه التقليل في هذه الأشياء . وقد يدخلها معنى التقليل على وجه آخر وهو أن القائل قد يقول : (رب عالم قد لقيت) وهو قد لقي كثيراً من العلماء ولكنه يقلل من لقيه تواضعاً ،

(١) هو عبد الله بن ربيعة بن لبيد بن صخر السعدي التميمي ، راجز مشهور .
أنظر شرح المغني ص ١٨ ، الشعر والشعراء ص ٢٣٠ .
(٢) ورد البيتان في ديوان العجاج على النحو الآتي :

عصراً وخضنا عيشه العذلبا ومهمه هالك من تعرجا
هائلة أهواله من أدلجا إذا رداء ليلة تدجدجا
ومطلع الأرجوزة :

ماهاج أجزاناً وشجواً قد شجا من طلل كالأشمسي أنهما

ويكون أبلغ من التكثير ، لأن الإنسان إذا حقر نفسه تواضعاً ثم افتخر فوجد أعظم مما يقول جل قدره . وإذا عظم نفسه وأزحلها فوق منزلتها ثم امتحن فوجد دون ذلك هان على من كان بمظمه . فهذا وجه من التقليل الذي يستعمل في هذه المسائل التي معانيها معاني الكثرة ، وقد بدخلها التقليل على معنى ثالث وهو قول الرجل لصاحبه : (لا تعادني فربما ندمت) وهذا موضع ينبغي أن يكثر فيه الندامة وليس بموضع تقليل وإنما تأويله أن الندامة على هذا لو كانت قليلة لوجب أن يخاف ما يؤدي إليها فكيف وهي كثيرة ، فصار لفظ هذا أبلغ من التصريح بلفظ التكثير . وعلى هذا تأويل النخويون قول الله تعالى : «ربما يودّ الذين كفروا لو كانوا مسلمين» (١) . وعلى نحو هذا يتأول قول امرئ القيس :

ألا رب يوم صالح لك منها ولا سيما يوم بدارة جلجل
وقول أبي كبير الهذلي :

أزهير إن يشب القذال فإنه رُبّ هَيضَلْ لِبْ لَفَتْ هَيضَلْ
إن استعارة لفظ التقليل ههنا إشارة إلى أن قليل هذا فيه فخر لفاعله فكيف كثيره . وأما قول أبي عطاء السندي في رثاء عمر بن هبيرة الفزاري :
فإن تمس مهجور الفناء فربما أقام به بعد الوفود وفود
فقد يتأول على نحو هذا المعنى ويحتمل أن يريد أن مدة حياته التي كثرت عليه فيها الوفود كانت قليلة . فعلى نحو هذه التأويلات تأول النخويون الذين أصلوا أن (رب) للتقليل هذه الأشياء التي ظاهرها التكثير . ومن قال في هذا الموضع إنها للتكثير تلقى الكلام على ظاهره ولم يدقق الكلام فيها هذا التدقيق ولم يقسمها إلى الحقيقة والحجاز كما فعلنا نحن والحمد لله كثيرآ لما هو أهله .

فهرس مراجع التحقيق والشرح

- ارشاد الأريب ، اياقوت (مرڪوليوت) .
- خزانة الأديب ، للبغدادي (بولاق ١٢٩٩) .
- ديوان الأخطل (بيروت ١٨٩١ م) .
- ديوان الأعمش (فينا ١٩٢٧ م) .
- ديوان امرئ القيس (سلسلة ذخائر العرب) .
- ديوان أبي تمام (بيروت ١٣٢٣) .
- ديوان جرير (نشر الصاوي) .
- ديوان حاتم الطائي (من مجموع خمسة دواوين) .
- شرح التبريزي على الحماسة (تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد) .
- ديوان ذي الرمة (كبردج ١٩١٩ م) .
- ديوان المعجاج (ليبسك ١٩٠٢ م) .
- ديوان الفرزدق (نشر الصاوي) (١٣٥٤ هـ) .
- ديوان المتنبي (شرح الكهري) .
- سمط اللآلئ للراجكوتي (لجنة التأليف ١٣٥٤) .
- شواهد شروح الألفية للعيني (بهامش خزانة الأديب) .
- شرح مقامات الحريري للشريشي (بولاق ١٣٠٠) .
- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (الحلبي ١٣٢٩) .
- شروح سقط الزند (صنع لجنة إحياء آثار أبي العلاء : طبع دار الكتب (١٩٤٥ - ١٩٤٩)

- الشعر والشعراء لابن قتيبة (ليدن ١٩٠٢ م)
- الكامل للمبرد (تحقيق زكي مبارك وأحمد محمود شاكر)
- كتاب سيبويه (بولاق ١٣١٦)
- لسان العرب (طبع صادر)
- مجمع الأمثال للميداني (الهيئة ١٣٤٢)
- معجم الشعراء للمرزباني (القدمي ١٣٥٤)
- المؤلف والمختلف للآمدي (القدمي ١٣٥٤)
- الموشح للمرزباني (السلفية ١٣٤٣)
- نزهة الألباء لابن الأنباري (تحقيق الدكتور ابراهيم السامرائي ١٩٥٩ م)
- نكت المحييات للمفدي (القاهرة ١٩١٠ م)